

شبهات المستشرق الألماني

رودي باريت حول السنة النبوية

من خلال كتابه

( محمد والقرآن )

إعداد

م. محمد خلف عبدالقهداوي

جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الانسانية

[ed.mohammed.khalaf@uoanbar.edu.iq](mailto:ed.mohammed.khalaf@uoanbar.edu.iq)

issn : 2071-6028



## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .  
أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى فَضْلِهِ ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمَائِهِ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ أَصْفِيَاءِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَخِصَّائِهِ ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فإن من أفضل ما يمكن أن يقدمه الباحثون من جهد هو الدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والتصدي لما يوجه إليهما من شبهات وطعون .  
وقد تعددت هذه الشبهات وتنوعت ، فتارة تأتي من الداخل وتارة تأتي من الخارج ، ولكل منها وسائله وأساليبه المختلفة المتنوعة ، والتي اتفقت على تشويه حقيقة الإسلام ، وتغيير الناس منه .

ومن هذه التيارات ( الاستشراق ) الذي سعى إلى تليق الشبهات القديمة بثوب عصري يتماشى مع الدعوات العلمية ، لذلك ارتأيت المساهمة في التصدي لمثل هذه التيارات ، والكشف عن حقيقتها ، ومدى مصداقية الموضوعية التي ادعاها روادها وأثاروها للتكيل بالإسلام .

واخترت لهذا نشاط أحد المستشرقين الألمان ، وهو المستشرق (رودري باريت ) الذي اشتهر بترجمته للقرآن الكريم ، وبتأليفه لكتاب ( محمد والقرآن ) ، فكان موضوع هذا البحث : ( شبهات المستشرق الألماني رودري باريت حول السنة النبوية ) . وكان غرضي هنا الوقوف على حقيقة جهود هذا المستشرق ، وهل كان امتداداً لمن سبقه من المستشرقين أو أنه التزم الحيادية الموضوعية كما ادعاها رواده في هذا المنهج العلمي الحق .

وبعد أن وقفت على أبرز أقواله في السنة النبوية ، عرضتها على جهود غيره ، وقومتها ووجهت نقدي لها في ضوء المعايير الحديثية والثابت العلمية .

وقد كانت خطة هذا البحث كالاتي :

المقدمة ، وهي التي بين يدي القارئ الكريم .

المبحث الأول : تعريف الاستشراق .

المبحث الثاني : ترجمة المستشرق رودري باريت .



**المبحث الثالث : منطلقات رودري باريت الفكرية .**

**المبحث الرابع : الشبهات التي أثارها حول السنة النبوية .**

ثم خاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات ، وألحقت بها قائمة المصادر والمراجع .

وإني لأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وقيقتُ في عملي هذا ، وأسأله المغفرة عن كل خطأ وتقصير ، وأرجو أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، و نصرةً لدين الحق والدفاع عن السنة النبوية من كيد المستشرقين أنه ولي ذلك والقادر عليه ، والله الموفق .

### المبحث الأول

#### تعريف الاستشراق

من المناسب قبل الشروع في هذا البحث أن أعرف الاستشراق لغةً واصطلاحاً ونظراً لشيوع هذه التعريفات واشتهارها ، فسأتناولها بإيجاز هنا مركزاً على الراجح من الأقوال .

**أولاً . الاستشراق لغة :** لفظة استشرق علوزن (استفعل) مشتقة من الفعل (شَرَقَ) ، وتأنيط عدة معانٍ، منها:

١ . طلب الشيء، والمعنى: طلبغات الشرق، وعلومه، وأديانه.

٢ . التعرف على الشيء، ومنه: التعرف على العالم الشرقي من خلال الدراسات اللغوية، والدينية، والتاريخية، والاجتماعية، وغيرها.

٣ . الأخذ من ناحية المشرق<sup>(١)</sup>.

ولم ترد كلمة (استشراق) في قواميس اللغة العربية القديمة . والاستشراق: كلمة مشتقة من مادة (شرق) يقال : " شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت " <sup>(٢)</sup>.

والمـراد بهـا طلبا لشيء، أي : طلب علوم الشرق وأديانه ، وهو ما يوحى إليه حرف السـ..... بينوالتاء التيهيحر وقتدلبمجموعها علناالطلب أي:

( ١ ) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م : ١١٩٢ / ٢ .

( ٢ ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، (ت ٧٧٠هـ)، أشرف عليها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م : ٣٢/١ و المعجم الوسيط، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط ٣، ١٩٨٩م : ٤٨٢/١ .





طلبوا والشرق قولغاتهم، يقال للمنيغنبذلكمعلماء الفرنجة<sup>(١)</sup>. يقال : شرق : شرقت الشمس تشرق شرقاً وشرقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق.. والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الشريف : « لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا »<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً . المعنى الاصطلاحي للاستشراق :

يختلف الباحثون كثيراً في المراد من مصطلح (الاستشراق) ، فقد ذهب الساموك إلى أنه علم يدرس لغات الشرق وتراثه وحضارته ومجتمعاتها وماضيها وحاضرها<sup>(٤)</sup>.

ويقول الدكتور محمود حمدي زقزوق : " هو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي ويطبق على كلاً من بيئته ودراسة الشرق كلاً من أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابها وحضاراتها وديانها وعقائده"<sup>(٥)</sup>.

ويقول د. محمد خليفة حسن : " الاستشراق من أقدم الحركات الفكرية الغربية المستخدمة للعلماء المستغلة له، كوسيلة لدراسة الشرق من ناحية، وتحقيقه غريبه وفرض الهيمنة عليه من ناحية أخرى"<sup>(٦)</sup>. واستعمال المحدثون ترجمة لكلمة (Orientalism) التي تدل على معنى (مستشرقون)، أما المحققون فيستعملون بدلاً منها (علماء المشرقيات) ، ولكن كلمة

- (١) معجمتاللغة، أحمد رضا ، دارمكتبةالحياة،بيروت، ١٩٥٨م : ٣/٣١١.
- (٢) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م : مادة ( شرق ) ١٠/١٧٣ .
- (٣) متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري . رضي الله عنه . . صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م : كتاب الطهارة ، باب لا تستقبل القبلة ببول ولا غائط ، ١/١٥٤ ، رقم ( ٣٨٦ ) و صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت : كتاب الطهارة ، باب الاستطابة : ١/ ٢٢٤ رقم ( ٢٦٤ ) .
- (٤) ينظر : مناهجالمستشرقين، د.سعدونالساموك . جامعة بغداد ، ١٩٨٥م : ٨.
- (٥) الاستشراقوالخلفيةالفكريةللصراعالحضاري، محمود حمدي زقزوق. دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٧م : ١٢.
- (٦) أزمةالاستشراقالحديثوالمعاصر ، د. محمدخليفةحسن ، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ٢٠٠٠م : ١٩٣.





(مستشرقون) صارت أكثر شيوعاً في الآونة الأخيرة<sup>(١)</sup>. والمستشرق هو: عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية عقديّة كانت أو تاريخية وأدبية أو حضارية... الخ ، فالاستشراق إذن هي دراسة الغربيين عن الشرق من ناحية عقائده أو تاريخه أو آدابه... إلى غير ذلك<sup>(٢)</sup>. ويرى المستشرق رودري باريت ( Rudi Paret ) أن الاستشراق هو " علم يختص بفقّه اللغة خاصة، وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"<sup>(٣)</sup>.

ويقول باريت (Paret) : إن الاستشراق في ألمانيا وغيرها من البلدان الأوروبية مادة علمية معترف بها من الجميع ، فقد تم له ذلك الاعتراف، وتوشك هذه المادة أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ، ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيرين في تخصص الاستشراق إلى جانب الأساتذة، كما أن المجتمع الأوروبي ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرف المستشرقين الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق، وللحفاظ على نشاطهم التعليمي في هذا المضمار<sup>(٤)</sup>.

وهناك مفهوم خاص — ويعني: الدراسات المتعلقة بـ (الشرق الأوسط) — لغته وآدابها وتاريخها وعقائدها وتشريعاتها وحضارتها بوجه عام<sup>(٥)</sup>. أو هو " علم يدرس في لغات الشرق وتراثها وأديان شعوبها وحضارتها وتاريخهم، وكل ما يتعلق بهم"<sup>(٦)</sup>.

- (١) ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم مدراس — تونقد ، د . عمربن إبراهيم رضوان ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، بلا تاريخ : ٢٢ .
- (٢) ينظر : آراء المستشرقين : ٢٣ .
- (٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) ، رودري باريت ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م : ١١ .
- (٤) الدراسات العربية والإسلامية : ١٣ .
- (٥) ينظر : تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، عبد الجبار ناجي . منشورات دار الجاحظ، بغداد ، ١٩٨١م : ١٣
- (٦) الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، د. فاروق عمر فوزي . الدار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٣٠ .





" فمصطلح الشرق يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع . كما قيل . في وسط العالم، إذ كانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه ؛ لكن لما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق على الرغم من ذلك دالاً على تلك الدول الواقعة شرق البحر المتوسط، إلا أن لفظة الشرق قد تعرضت في أعقاب الفتوحات الإسلامية لتغيير آخر في معناها، فشملت البلاد المفتوحة في إفريقيا، ومنذ تلك الفتوحات تعد مصر وبلدان شمال إفريقيا من الشرق، بل يختص الاستشراق حتى بشمال غرب إفريقيا المسمى بالغرب، وان كان اسمه يفترض انه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها "(١).

وبعضنا نظر عن مديا لاتفاقوا لاختلاف معكنا تعريفنا لتعريفاتنا السابقة، فإن المقصود هو الانطلاق من تعريف الاستشراق إلى البيان الحقيقي التي أجملها كثير من الباحثين فيكونه وثيقا لارتباط التصوير والاستعمار الغربي منذق الأمانة العلمية والموضوعية البحثية عندتنا ولا لإسـلامها موجهها ص، وأنه يسهم بشكل فعّال في صنع القرار السياسي في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين (٢) ، وأنا لاستشراقهم بصدق موقفا للغرب من الإسلام وحضارته (٣).

### المبحث الثاني

#### ترجمة المستشرق رودري باريت

أولا . اسمه وولادته :

هو رودريبارت Rudi Paret : ولد في ٣ نيسان ( أبريل ) سنة ١٩٠١م في Wittendorf بنوادي فيالغابة السوداء بجنوب ألمانيا؛ من أسرة يكثر فيها القساوسة المسيحيون ، وهو أحد الأبناء الخمسة للراهب وليام باريت ، وأمه ماريامولر ابنة مصلح ساعات في مدينة تورنكن Tübingen (٤).

( ١ ) الدراسات العربية : ١٢ . ١٣ .

( ٢ ) ينظر : رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد عبد الحميد غراب ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ط٢ ، ١٤١١هـ . ٨ :

( ٣ ) ينظر : نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، لخضر شايب . مكتبة العبيكان ، السعودية ، ٢٠٠٢م : ٣١ .

( ٤ ) ينظر : موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن البدوي ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٣م : ٦٢ .





## ثانياً . نشأته العلمية :

توفي أخويّ باريت ( كال ) و ( ألفرد ) في عام ١٩١٦ أبان الحرب العالمية الأولى ، والتحق رودى في العام نفسه إلى الفصل الراسي لعلم اللاهوت في مدينة أوراخ (Orach) ومدينة سونتال (Suntal) ودرس رودى باريت منذ مطلع العام ١٩٢٠ علم اللاهوت البروتستاني في جامعة تورنكن بعدما حصل على منحة دراسية من قبل الوقف البروتستاني ، وقد غير دراسته التي كان يميل إليها إلى الاستشراق ، وتلمذ في الدراسات العربية على يد أستاذها نونو لتمان (Enno Littmen) فدرسه عليه اللغات السامية والتركية والفارسية في المدة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤ م ، فحصل منها على الدكتوراه الأولى في سنة ١٩٢٤ م عن دراسته ( الرواية العربية الشعبية ) وكان مدار البحث سيرة سيف بن ذي يزن . وفي عام ١٩٢٦ حصل على إجازة التدريس في معهد الاستشراق في مدينة تورنكن . وفي عام ١٩٢٦ حصل على إجازة التدريس في مدينة تورنكن وعمل هناك بوصفه أستاذاً جامعياً خاصاً ، وقد أتاح له موقعه هذا الحصول على مقعد تدريسي في مجال العلوم السامية وعلوم الإسلام ، كما كان عضواً في المعهد المسيحي الألماني ، وهو معهد يعنى بالدراسة والبحث في التأثير اليهودي في الحياة الكنيسة في مدينة أيسن ناخ (Essen nach).

انخرط في خدمة الجيش سنة ١٩٤١ م مترجماً للمارشال رومل في شمال أفريقيا، وأسر في نهاية الحرب ووضع في مركز اعتقال الجيش الأمريكي ، وقضى عدة سنوات في معسكر في ترينيداد وكتب فيه بعض المقالات ، وظل في الأسر حتى عام ١٩٤٦ م . أمضى في القاهرة (١٩٢٥-١٩٢٦) ، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنّه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم . وفي سنة ١٩٤٨ تزوج رودى ابنة فالتر كوبيرسا ( Walter Koperss )<sup>(١)</sup>.

## ثالثاً . مناصبها العلمية :

1. ع\_\_\_\_\_ين  
مدرّساً مساعداً في قسم الدراسات الشرقية في جامعة تورنكن إثر حصوله على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة سنة 1926 م.
2. وفي سنة 1941 مشغولاً في علم الإسلام والعلوم السامية في جامعة تورنكن خلفاً لوالده ( kahle )

(١) ينظر : موسوعة المستشرقين : ٦٢ .





3. في سنة ١٩٥١م عين أستاذاً للساميات والإسلاميات في جامعة تورنكن، حتى أحيلا إلى التقاعد في ٣٠/٩/١٩٦٨م<sup>(١)</sup>.

رابعاً . علومه ومعارفه :

رودي باريت واحد من أهم المستشرقين الألمان الذين ارتبطت أسماءهم بالقرآن الكريم، وهو صاحب أشهر ترجمة علمية للقرآن الكريم، والتي نالت قدراً من التبجيل والاحترام في جميع الأوساط العلمية، سواءً بين الألمان أو المسلمين، ليس هذا فحسب، ولم يتوقف اهتمامه بالقرآن على الترجمة فحسب، بل أتبع ترجمته بعدة كتب في الدراسة حول القرآن، من هذا الدراسة بالدراسة التي تحمل عنوان: "محمد والقرآن"، وهي دراسة موسّعة، حاول فيها الحديث عن الملامح التي سبقت القرآن<sup>(٢)</sup> ومن مؤلفاته زيادة على ترجمته للقرآن الكريم :

١. «محمد والقرآن» Mohammed und der Koran وهي عرض واضح قصدي بجمهور الناس غير المسلمين لتقريبهم حقيقة ترسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٢. «الإسلام والتراث الثقافي اليوناني»، وهو عبارة عن رسالة قصيرة، ظهرت سنة ١٩٥٠، وفيها فحص أحوال البحث في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية سواء في ألمانيا وخارجها حتى سنة ١٩٥٠.

٣. وله كتاب عن القرآن بعنوان ( القرآن تعليقه وفهرسته).

٤. كتاب ( الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية).

٥. كتاب ( النقص في المرويات عن الإسلام الأول)، في الكتاب

التذكاري ل R.Tschudi.

٦. وله بحوث في القرآن منذ أواخر القرن الماضي.

٧. أسهم باريت في تحرير " دائرة المعارف الإسلامية ".

(١) ينظر : موسعة المستشرقين : ٦٢ و الاستشراق ، د مازن بن صلاح مطبقاني ، منشورات مكتبة الملك فهد ، السعودية ، ٢٠٠٥م : ٧١ .

(٢) ينظر: ترجمة معاني القرآن الكريم في ألمانيا الدوافع والأهداف ، الدكتور محمود العلي حسينات ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع : جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم ، فاس للمدة من ١٤.١٦ أبريل ٢٠١١م : ٤٠٢ .





٨ . الرمز في الإسلام صدر عام ١٩٥٨م<sup>(١)</sup> .

زيادة على عدد من المؤلفات بالألمانية<sup>(٢)</sup>

خامساً . وفاته :

توفي رودري باريت في مدينة تورنكن ٣١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٣، إثر مرض قصير المدة<sup>(٣)</sup> .

### المبحث الثالث

#### منطلقات رودري باريت الفكرية

اتصفت أغلب جهود المستشرقين بسمات محددة غلب عليها : إنكار الوحي والنبوة وتكذيب الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول الإسلام ، وهذا الموقف هو امتداد لموقف مشركي مكة والجزيرة العربية ، وموقف اليهود والنصارى في العهد النبوي .  
والجديد في طروحات المستشرقين المعاصرة هو ادعائهم الموضوعية العلمية ، والأمانة في البحث العلمي ، والتجرد عن الأهواء ، والبحث عن الحقيقة المجردة ، وغير ذلك من شعارات مؤهوا بها على بسطاء التفكير من الغربيين أو على من تأثر بهم من العرب والمسلمين .

وإن كانا الجديد فيهما البأساء والحياد والنظرة العلمية المجردة وتجنبنا القبح المباشر ، وإن كانا كثرنا المستشرقين عجز عن ضبط ميولها الذاتية فيقع في هذا القبح الفجاء المباشر في الإسلام ونسبها للإسلام لا مفيكثي  
رنا لأحيان .

ولقد أكد رودري باريت أن الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في القرنين الثاني عشر الميلادي ، وفي القرون التالية هو التنصير ، وعرفها بأنها قننا عال مسلمين بلغتهم بطلاننا للإسلام ، واجتذابهم بالنصرا  
نية<sup>(٤)</sup> .

(١) ينظر : المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، محمد البهي (ت ١٤٠٢ هـ) ، مطبعة الأزهر ، مصر ، بلا تاريخ : ١٧ .

(٢) ينظر : مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة محمود محمد حجاج رشدي ، بحث نشر ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإستشراقية ، السعودية ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م : ١٤ .

(٣) ينظر : موسوعة المستشرقين : ٦٢ .

(٤) ينظر : الدراسات العربية : ١١ .





إلا أن هذه الأهداف اكتسبت أبعاداً أخرى بمرور الزمن ، فترافق معها أطماع اقتصادية وعلمية واستعمارية<sup>(١)</sup>.

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر ، حاول الاستشراق اكتساب صفة (العلمية) ، وبدأ يتحلب بالموضوعية ، ولو بصورة نسبية ، عندما تحول إلى العلم قائم على النقد التاريخي ، فلم تعد غايتها البرهنة على ضعة العالم العربي الإسلامي ؛ وإنما حاول أن يطبق المعيار النقدي على تاريخ الإسلام كما يطبقه لتاريخ فكرها الخ . ولا حظ باريت أنها لم تأت هذا العلم " إلا عندما تأكد استعداد الناس لأنصرا فنعنا لآراء المسبقة ، وعنكلو نمنا لوانا لانعكاس الذات ، والاعتراف عالم الشرق بكيانها الخاص الذي تحكمه نظمها الخاصة ، وعندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية لهما استطاعوا بذلك سبيلاً " (٢).

إن ابرز المنطلقات الفكرية لرودي باريت قامت على مبدأ إنكار النبوة ، لذلك لن نتوقع أن يقدم باريت أية فكرة إيجابية تتعلق بالإسلام وبالمسلمين وإن ألبس كلامه هنا وهناك ببعض الثناء الحذر ، أو استشهاده بكتب الحديث والسيرة وانتقاء ما يناسب غرضه ، وتأويله تأويلاً فاسداً يتوافق مع مزاعمه وأن الإسلام عبارة عن مزيج من الأفكار الدينية الشائعة في جزيرة العرب وفي مقدمتها اليهودية ، النصرانية والكهان<sup>(٣)</sup> ومن أمثلة ذلك استشهاده بما جاء في كتب السيرة ، فقد ذكر النقاء النبي صلوا لله عليه وسلم مع حجاج المدينة فسألهم : (( منانتم ؟ ، قالوا : نفر من الخرج ، قال : أمنمو لليهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسوا وأنا كلمكم ؟ ، قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام لا موتلا عليهما القرآن ، فما كان من هؤلاء نفر إلا أن نظر بعضهم إلى البعض وقالوا : تعلموا والله أن النبي الذي نتوعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه )) (٤) .

( ١ ) ينظر : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، دراسة نقدية ، د. عبد اللطيف الطيباوي ، ترجمة : د. قاسم السامرائي ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، السعودية ، ١٩٩١ م : ١٩ .

( ٢ ) الدراسات العربية : ١٧ .

( ٣ ) ينظر : محمد والقرآن ، رودري باريت ، ترجمة : الدكتور رضوان السيد ، مؤسسة شرق غرب للنشر ، ط١ ، الإمارات ، ٢٠٠٩ م : ٢٦ . ٥٤ .

( ٤ ) السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري ، (ت ٢١٣هـ) ، تقديم وتعليق : طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ : ٤٢٥/١ و تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت ٣١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٧٨ م : ٣٥٠/٢ .





فهذا النص قد استشهد به رودري باريت لأن فيه ذكر اليهود ، وقد أوله تأويلاً غريباً ، فقال : " فليس عجباً والحال هذه أن يكون محمد وبعد أن قابلت دعوتُهُ بمكة الأذن الصمّاء ، قد وجد من يستمع إليه بالمدينة ، وبين سكانها يهود كثيرون ، فهاجر إليها واستقر بها وسط المعتنقين الجدد لدعوته من أهلها " (١) .

إن الموضوعية العلمية تقتضي أن يطرح رودري باريت احتمالات أخرى ، منها : ما سبب امتناع اليهود من الدخول في الدين الجديد ، إذا كانوا هم السبب حقاً في استجابة أهل المدينة ؟

ثم إن كان هذا الدين قد تأثر بطروحات اليهود وأفكارهم ليس من المنطقي أن يتحالف اليهود مع من يقتبس أفكارهم عوضاً عن تحالفهم مع المشركين ؟ وفي محاولة أخرى يسعى (رودري باريت) إلى إيجاد صلة بين الإسلام والوثنية تمهيداً للقول بأن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد تأثر بالوثنية ، فيقول : " وقد نشأ محمد في تلك الجاهلية ، وسط التصورات الوثنية العربية ، وكبر في مراتبها ، قبل أن يتماس مع الديانات الأخرى غير العربية ، وتحت التأثيرات المتنافسة في وعيه ، أعلن عن دعوته باعتباره حامل عقيدة جديدة " (٢) .

وهذه شبهة قديمة . جديدة ، فقد حاول (رودري باريت) إضفاء لمسة مقتبسة من طروحات علم النفس ، بأن التأثير الوثني انعكس في فكر النبي . صلى الله عليه وسلم . اللاواعي ، أي عن غير قصد منه .

ولو لجأنا إلى الموضوعية العلمية التاريخية التي ادعاها رودري باريت لكان لزاماً عليه أن يجيب عن الأسئلة الآتية ؟

لم تأثر النبي . صلى الله عليه وسلم . بديانة قومه ، ولم لم يتأثر الأنبياء الذين سبقوه بديانات أقوامهم ؟ ولا سيما أن رودري باريت يقرُّ بنبوّة موسى وعيسى . عليهما السلام وغيرهما ؟

ولو ناقشنا قوله : ( التأثيرات المتنافسة في وعيه ) من المنظور النفساني لوجدنا ما توصل إليه يناقض المنطق العلمي ، فالأفكار المتناقضة لا بد وأن تنعكس بشكل أو بآخر على الفكرة المتولدة أو التركيب ، وهذا منتفٍ تماماً في القرآن الكريم ،

( ١ ) محمد والقرآن : ١٧ . ١٨ .

( ٢ ) محمد والقرآن : ٢٢ .





وفي أقوال النبي . صلى الله عليه وسلم . قال سبحانه وتعالى :  
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهَا اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١) .

وفي محاولة منه لإثبات تأثر الإسلام بالوثنية يقيم باريت دليلاً على ذلك ممثلاً بحج بيت الله الحرام ، فهو يرى أن أهل مكة يقدسون حجراً أسود مازال مقدساً حتى الآن، وكان هذا الحجر في أحد حوائط الكعبة الخارجية، والكعبة عبارة عن بناء مكعب الشكل، كان ينظر إليه على أنه مقرُّ الألوهية ( بيت الله ) (٢) .

وهذا التصور مفهوم ومتوقع من ( رويدي باريت) بعد أن نزع عن الإسلام صفة الديانة الإلهية ونظر إليه على أنه حركة تاريخية كغيره من الحركات .

ولعل أغرب ما جاء به رودري باريت هو إيجاد صلة بين دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . وبين الجن والكهان ، وقد ركز في هذا الموضوع على أمرين :  
الأول . الحديث عن وحي الشعراء وربطه بالوحي المنزل على النبي . صلى الله عليه وسلم . .

الثاني . سجع الكهان ، وربطه بالسجع القرآني .

ولا يخفى أنه أراد من هذا كله نفي النبوة وبالتالي نفي كون القرآن الكريم وحياً من الله تعالى ، وفيما يأتي إيجاز بذلك:

يتحدث رودري باريت ظاهرة كانت شائعة في عصر ما قبل الإسلام بأن لكل شاعر مميز كان له رديف من الجن؛ فيقول : " وكان محمد النبي يعتبر نفسه متصلاً بالعالم الأعلى أيضاً ؛ لكن اعتقاده كان أن المتصل به من ذلك العالم ليس أي ( جن ) بل هو منتمٍ إلى عالم الملائكة ﴿إِنَّهَا قَوْلُ رُسُلٍ كَرِيمٍ﴾ (٣) ، وهو أمين مأمون ﴿نَزَّلْنَاهَا رُوحًا لِأَمِينٍ﴾ (٤) وهو الروح القدس " (٥) .

وهو يكرر أقوال مشركين مكة، الذي اعترف هو نفسه، بأن خصوم محمد . صلى الله عليه وسلم . كانوا يتهمونها بها ، لكنه عدّ هذه الأقوال شهادة على صدق فرضيته (٦) .

( ١ ) سورة النساء : الآية ٨٢ .

( ٢ ) ينظر : محمد والقرآن : ٢٣ .

( ٣ ) سورة الحاقة : الآية ٤٠ ؛ سورة التكويد : الآية ١٩ .

( ٤ ) سورة الشعراء : الآية ١٩٣ .

( ٥ ) محمد والقرآن : ٣٤ .

( ٦ ) ينظر : محمد والقرآن : ٣٣ . ٣٤ .



ولا يكتفي بهذا الوهم المفترض ، بل عدَّ كل خبر إسلامي يروى عن كهان قريش موضع شبهة ، وقال : " فإن الحذر مطلوب عند تقييم الأقوال المنسوبة إلى أولئك العرافين من جانب الرواة " (١) .

وهو أمر يثير الحيرة أن يدافع رجل يدعي العلم والنزاهة عن كهان لا يعرف عنهم شيئاً في مقابل الطعن برواة الأحاديث الذين جهد علماء الجرح والتعديل في توثيقهم بشروط ينذر وجودها في أي نشاط تاريخي توثيقي .

والذي يبدو أن المؤلف ساير سابقه من المستشرقين بهذه الفرية بسب جهلهم باللغة العربية وببلاغتها ، وقد أوهمهم تسمية ( السجع ) فظنوا أنهما صورتان لحقيقة واحدة .

ويقول : " والملفت للانتباه على وجه الخصوص أن الكهان يؤكد نبوءته بالقسم ، ومثل هذه الأقسام غير المفهومة في كثير من الأحيان ، تبدو في سور الوحي المحمدي الأولى ، ولولا ذلك لما كان بوسع خصومه اعتباره كاهناً ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .... الخ " (٤) .

وهنا يلاحظ أيضاً تصميم رودري باريت على ترجيح أقوال مشركي مكة على أقوال الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأدنى شبهة .

لو افترضنا جدلاً أن ما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . هو من قبيل وحي الكهان ، وأن القرآن هو من سجع الكهان ، فلم عجز الكهان وفصحاء العرب عن الإتياء بمثله ؟ وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم ؟

يبدو أن باريت تناسى أن القرآن نزل بلغة العرب وبأساليبهم ، ولا أدري ما الصفة التي يريدها أن تتوافر في القرآن الكريم لكي يقر بأنه من عند الله تعالى ؟ إن هذه المنطلقات التي انطلق منها رودري باريت أكدت ما يأتي :

١

ساير مقولات المستشرقين السابقة المناوئة للإسلام متخذة البحوث الموضوعية أيضاً جلفصلاً لإسلامنا

( ١ ) محمد والقرآن : ٣٥ .

( ٢ ) سورة الطور : الآية ٢٩ .

( ٣ ) سورة الحاقة : الآية ٤٢ .

( ٤ ) رودري باريت : محمد والقرآن ، هامش ص ٣٦ .



لوحيا لإلهي .

٢ . حاول ان يتصيد كل صغيرة وكبيرة من أجل الطعن بالإسلام .

٣ . وقعفينا قضاة كثيرة مردها النية المبيتة والجهل بالواقع العربي قبل الإسلام .

٤ . لم يأت رودي باريت بتجديد بل هو على نهج سابقه من الذين طعنوا في السنة النبوية .

#### المبحث الرابع

#### الشبهات حول السنة النبوية

في كتابه محمد والقرآن تعامل رودري باريت مع السنة النبوية موضع التشكيك ، وقد وضع نصب عينيه أن يوظف ما فيها للطعن بالنبوة ، وتكذيب الوحي ، فكان منهجه في هذا :

١ . تجاهل النصوص التي توافق غرضه مع أنها قد وردت في مصادره التي اعتمدها في كتابه ( محمد والقرآن ) .

٢ . الاعتماد على الروايات الموضوعية .

٣ . ليّ النصوص وتحريفها أو تأويلها تأويلاً مغلوطاً .

٤ . ينتقي ما يشاء مما يوافق أغراضه .

وفيما يأتي بعض الشواهد على ذلك :

#### أولاً . تجاهل النصوص :

عندما لا يجد رودري باريت النصوص التي تؤيد مزاعمه يلجأ إلى التخمين والفرضيات ، مع أن الإجابة واضحة جلية ،

ومن ذلك قوله : " ويبدو أن محمداً كان على دين قومه في فتوته وشبابه ، بيد أن القرآن لا يتحدث عن شيء من ذلك " (١) .

إن هذا المنهج لا يمت . كما هو معلوم . إلى المنهج العلمي بصلة ، وهو يظهر جلياً تحامل رودري باريت وتحريفه للحقائق وغض البصر المتعمد عن الأدلة التي تناقض قوله ، إذ ليس هناك أي مصدر تاريخي يشير إلى أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد سجد لصنم أو شارك الجاهلية في عبادتها ، بل العكس هو الصحيح إذ

(١) محمد والقرآن : ٢٤ .





نعم، لمياتر جلقطبماتلما جنتبها لإعودي، وإنيدر كنبيومكأنصر كنص—رامؤزراً. ثلمينش—بورقة أنتوفي . وفتروحي ((<sup>(١)</sup>)

وسبب تجاهل (رودى باريت) لهذا النص الذي يقع في بداية صحيح البخاري . الذي هو من مصادره . كما تجاهل غيره من الأحاديث أن هذا الحديث يثبت بما لا يقبل الشك صدق دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . ، فلو كان القرآن من عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فلم فتر الوحي عنه ؟ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاني من هذا الفتور حتى نزل قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّ عَكَرُ بُكُومَاقَلَى ﴾<sup>(٢)</sup> وقد جاء في صحيح البخاري أيضاً ما يفسر هذا : (( احتبس جبريل عليه السلام علنا النبي صلبا لله عليه وسلم . فقالت امرأته منقريش : أبطأ عليه شيطانه، فنزلت : ﴿ وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى \* مَا وَدَّ عَكَرُ بُكُومَاقَلَى ﴾<sup>(٣)</sup> ))<sup>(٤)</sup>

لقد ادعى رودى باريت رجوعه إلى مصادر عربية حديثة وتاريخية ، ولكنه لم يبين سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع أن قصة الوليد بن المغيرة<sup>(٥)</sup> قصة مشهورة في كتب السنن والسيرة النبوية ، إذ (( جاء إلى النبي صلبا لله عليه وسلم—فقرأ عليها القرآن، فكان نهر قلبه، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال : يا عماة تقومك يري—دون أنيجمعوا لكما لا؟ قال : لم؟ قال : ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض—لما قبله، قال : قد علمت قریش—أنيمنا أكثرها مالا، قال : فقل فيهم قولاً يبلغ قومك إنك منكر له، أو إنك كاره—ه، قال : وماذا أقول، فوالله ما فيكم

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٤/ ١ رقم ( ٣ ) و صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١/ ١٣٩-١٤٠ رقم ( ١٦٠ ) .

(٢) سورة الضحى : الآية ٣ .

(٣) سورة الضحى : الآيات ١ . ٣ .

(٤) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله . رضي الله عنه . . صحيح البخاري : كتاب التهجد ، باب باب ترك القيام للمريض ، ٣٧٨/١ ، رقم ( ١٠٧٣ ) و صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ، ٣/ ١١٤٢١ ، رقم ( ١٧٩٧ ) .

(٥) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم ، أبو عبد شمس : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد . ينظر : الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير ، (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م : ٢٦/٢ .





رجلاً علمياً لأشعار مني، ولأعلم بجز، ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، واللهم ايشبهها الذي يقولش بيأمنه  
ذا،

ووالله انلقواها الذي يقول حلالة، وانعليها طلاوة، وانهلثمراً أعلاه مغدقاً أسفله، وانهلعلو وما يعلى، وانهلدي  
حطم ما اتحتة . قال : لا يرض عنكم مكنحتنقول فيه، قال فد عنحتنا فكر، فلما فكر قال :  
هذا سحر يؤثر من غير، فنزلت : ﴿ذُرِّيُّومٌ مَّخْلُقٌ جِيدًا (١١) وَجَعَلْتُمُهَا لَأْمَنًا دُونَ (١٢)  
وَبَنِيئِشْهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُمُهَا نَهْيًا (١٤) تَمِيظًا نَزِيدًا (١٥) كَلَّا إِنَّهَا كَانَتْ آيَاتِنَا عَنِيدًا  
(١٦) سَأَرْهُقُهُمْ صُغُودًا (١٧) إِنَّهُمْ كَرُوفَةٌ (١٨) فَفَتَاكَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ تَكَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)  
ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ، ثُمَّ ادْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَفَالِإِنَّ هَذَا إِسْحَارٌ يُؤْتَرُ (٢٤)  
إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿ (١) ﴾ (٢) .

ثانياً . الروايات الموضوعية :

يبني رودري باريت قناعاته على الروايات الموضوعية ، ليستخلص منها ما  
يوافق أغراضه ، ومن ذلك قصة الغرائيق<sup>(٣)</sup> الموضوعية التي ولع بها المستشرقون  
وأثاروا ضجة مختلفة حولها ، وقد ثبت اختلاق هذه القصة بما لا يبقى مجالاً للشك<sup>(٤)</sup> .

وقد رد مترجم الكتاب الدكتور رضوان السيد على المؤلف بقوله : " وهي  
أسطورة ما صدقها أكثرية المستشرقين ، فلماذا يصدقها باريت الذي ترجم القرآن وهو  
يعرف استحالة التوفيق بين الوجدانية وشفاعة الآلهة الوثنية " (٥) ؟

ثانياً . تحريف النصوص :

لا يحتاج لباحث إلى إيراد الشواهد التي تؤكد تحريف رودري باريت للنصوص ،  
فقد صرح هو بمنهجه في التعامل مع النصوص القطعية بقوله :

( ١ ) سورة المدثر : الآيات ١١-٢٦ .

( ٢ ) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ)،  
تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م : ٥٥٠/٢ رقم  
( ٣٨٧٢ ) و قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

( ٣ ) محمد والقرآن : ٢٥ .

( ٤ ) ينظر في تفنيد هذه الرواية : كتاب نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق، محمد ناصر الدين الألباني،  
المكتب الإسلامي - بيروت، ط / ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : ٧ .

( ٥ ) محمد والقرآن : هامش ص ٢٥ . ٢٦ .





" بيد أنه رغم ثبات النص ورواياته المتواترة، تظل نصوص القرآن صاحب التأويل والدلالة على تاريخ النبي وزمانه" (١).

فهو يفتح الباب على مصراعيه ليتأول النصوص بما يريد تحت ذريعة الدراسة العلمية الموضوعية .فقد ناقش موضوع التوحيد وشهادة ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) بقوله :  
" ولذلك لا بد من الذهاب إلى إحدى إكمانيتين ، لا تتفي إحداهما الأخرى على أي حال ، فأما أنه كانت هناك وحدانية بدائية ( والبدائية لا تعني هنا أمراً سلبياً ) ، أو أنه كان هناك تأثير للديانات التوحيدية الموجودة في الحواضر المحيطة بالجزيرة ، ونعني بها هنا اليهودية والمسيحية " (٢) .

إن رودري باريت افترض أمرين واستبعد عن عمد رأي المسلمين في الموضوع ، فالإسلام دين إلهي وهو امتداد للأديان السابقة ، ولا بد أن تكون دعوة التوحيد هي نفسها في كل دين ، يقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : (( أفضل الأدعاء يوم معرفة ، وأفضل ما قلنا وألذنا والنبو من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له )) (٣) .

فهذا الحديث يشير إلى أن دعوة التوحيد هي واحدة في كل الديانات ؛ ولكن رفض رودري باريت عدّ الإسلام ديناً أوقعه في هذه المتاهات الافتراضية .

ويرد عليه أيضاً أن الإسلام إن كان قد اقتبس التوحيد من الديانتين ، فلم عاب على اليهود والنصارى نقضهم التوحيد بقولهم أن عزير ابن الله ، وأن عيسى ابن الله ؟ قال تع :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ هَذَا كَقَوْلِهِمْ بَنُو آدَمَ وَبَنُو هَيْمَانَ هُنَّ نِسَاءُ الْيَهُودِ لَا تَلْهَمُ اللَّهُنَّ يَتَّبِعُونَ ﴿٤﴾ .

( ١ ) محمد والقرآن : ٢٧١ .

( ٢ ) محمد والقرآن : ٢٦ .

( ٣ ) الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت ١٧٩هـ)، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي / الإمارات، ط ١، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م : ١ / ٤٢٢ و السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م : ٥ / ١١٧ . " وله طريق أخرى موصولة " و تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٤ م : ٤٨٤/٢ .

( ٤ ) سورة التوبة : الآية ٣٠ .





ويستشهد رودري باريت بحديث لعائشة . رضي الله عنها . ، فيقول : " فقد قالت عائشة تعليقاً على ذلك ( أي استجابة الله تعالى لدعاء النبي . صلى الله عليه وسلم . ) ما أسرع ربك إلى تلبية رغباتك . والمؤكد أن النبي نفسه قد أحس هذا الخطر ، وذلك فقد كان هناك انتقاد للنبي في القرآن " (١) .

فاستنتج من هذا أن النبي . صلى الله عليه وسلم . لما سمع مقولة عائشة . رضي الله عنها . المتضمنة بعض النقد الموجه إليه باستجابة الله تعالى لدعائه ، يعطل ذلك بقوله : " وهذه النصوص تهبنا نظرة عميقة عن الوعي الرسالي لدى النبي محمد . وقد تبدو محاولة نسبة التصور هنا وهناك إلى الشيطان متسمة بشيء من البراءة . بيد أن اعترافه بالذنب والخطأ ، والذي يظهر بوضوح بين السطور ، يبدو بالنسبة للناقد الموضوعي ، بالغ التأثير ، لما يشير إليه من موضوعية ونزاهة وبراءة نفس " (٢) .

وهذا تعلييل ينم عن قصور معرفي ورجم بالغيب لا دليل عليه من منطق أو عقل أن ينظم النبي . صلى الله عليه وسلم . آيات يسمعها القاصي والداني رداً على مقولة زوجته عائشة . رضي الله عنها . .

#### رابعاً . انتقاء النصوص :

أصاب باريت بقوله : " ليس بالوسع كتابة سيرة محمد استناداً إلى القرآن وحده " (٣) ؛ لأن القرآن الكريم لم يذكر تفاصيل كثيرة عن حياته ؛ " فان الأنبياء عن حياة النبي وعن التطورات الزمنية؛ ينبغي البحث عنها في فرع آخر من فروع الأدبيات العربية : الحديث والتاريخ، والواقع أن هذين التخصصين لا يقف الواحد منها مستقلاً عن الآخر ، وتبقى الحدود سائلة " (٤) .

#### ولكن كيف تعامل مع كتب الحديث ؟

يعلن رودري باريت شكه بالمصادر الحديثية والتاريخية ، وأنه لا يمكن الوثوق بها إلا بقدر ما تقدمه من مقارنة للحقيقة ، وفوض الأمر إلى ذكاء الباحث لكشف ذلك مع إقراره بالتفاصيل الدقيقة التي تضمنتها تلك الكتب إلا أنه يعتقد أن قدسية شخصية النبي . صلى الله عليه وسلم . أثرت في الكتاب وأنهم كتبوا ما كتبوه متأثرين بها (٥) .

( ١ ) رودري باريت : محمد والقرآن ، ص ١٠٦ .

( ٢ ) رودري باريت : محمد والقرآن ، ص ١٠٨ .

( ٣ ) محمد والقرآن : ٢٧٥ .

( ٤ ) محمد والقرآن : ٢٧٥ .

( ٥ ) المرجع نفسه : ٢٧٦ .





وقد سعى رودري باريت إلى نفي الوحي بكل وسيلة ممكنة ، وركز على تلقي النبي . صلى الله عليه وسلم . أسس القرآن من اليهود والنصارى والوثنيين ، وأنه من صياغة النبي . صلى الله عليه وسلم . .

ومن محاولات رودري باريت نفي الوحي قوله : " إن الأمر بالقراءة أو الإلقاء في ( اقرأ ) في السورة وما بعد هذه الايات، هو الوحي الأول ، فيما تقوله الرواية الإسلامية ، بيد أنه لا يبرهان على صحة هذه المروييات ، وإن كنا نرى فيها بذرة حقيقية " (١) .

هذا النص محاولة لتشويه الحقائق ولخلط الأوراق ، ويبدو أن باريت كتب هذا مدفوعاً باتجاهين :

الأول . نفي الوحي ، بوصفه هدفاً أولاً سعى إليه مع أول سطور كتابه .

الثاني . عدم قدرته على إنكار الحقائق القرآنية ، ولكن المكابرة تمنعه من قول الحقيقة ، فقال : " وإن كنا نرى فيها بذرة حقيقية " .

وهنا سلسلة أسئلة تفرض نفسها تقوض غزل باريت : ما هي البراهين التي يريدنا رودري باريت ؟

ألا يكفيه كتاباً مدوناً محفوظاً من عصر ندر فيه التدوين ، وتوافقه كتب الحديث والسيرة والتاريخ ؟ وإن كانت هذه الأدلة مع قوتها غير كافية لإقناع باريت ، فما هي الأدلة التي دفعته للاقتناع بالتوراة والإنجيل مع أن أدلتها لا ترتقي إلى أدلة القرآن بأي شكل من الأشكال ؟

وما المقصود بالبذرة الحقيقية ؟ أهو قوله إن الإلقاء بدأ بكلمة (اقرأ)؟ وإن كان كذلك فهو إقرار بالنبوة .

ومن الكتب الحديثية التي اعتمدها باريت :

" البخاري جامع أقدم الصحاح الستة للمرويات توفي عام ٩٧٠م "

البخاري: الصحيح مجموع للحديث النبوي أربع أجزاء (Leiden) من ١٨٦٢ إلى ١٩٠٨م ترجمها إلى الفرنسية هوداس ومرسيه. أربع مجلدات، باريس ١٩٠٣ . ١٩١٤م .

( ١ ) المرجع نفسه : ٩٤ .



مسلم توفي ٨٧٥، الصحيح بشرح النووي، خمس مجلدات، القاهرة ١٢٨٣هـ، غير مترجم<sup>(١)</sup>.

فقد رجع إلى الصحيحين : البخاري ومسلم ، فلم هذا التعامي عن السنة النبوية إذن ؟

### الخاتمة

الحمد لله حقّ حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه . بعد هذا العرض لأخص أهم ما جاء فيه بما يأتي :

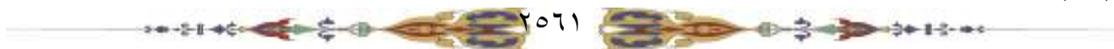
١ . اتصفت غالبية جهود المستشرقين بمنائهم للإسلام وإنادعتا لموضوعية، وألحيادية، وأنهما هما كانت موضوعية في مضمونها ومحتواها إلا أنها لم تسلم من تعصب وهوى والعمل على خدمة نزعات دينية واستعمارية .

٢ . لا تخرج أفكار رودرياريت عن أفكار غيرهم من المستشرقين السابقين الذين يدعون إلى العلمية والموضوعية، سواء في محاولة رد كل مجد أو مفخرة إلى غير العرب وإلى غير المسلمين ، أو في إنكار النبوة .

٣ . إن ابرز المنطلقات الفكرية لرودري باريت قامت على مبدأ إنكار النبوة ، وهو يرى أن الإسلام عبارة عن مزيج من الأفكار الدينية التي كانت شائعة في جزيرة العرب ، وفي مقدمتها اليهودية ، ثم النصرانية ، والوثنية ، والجن ، والكهان .

٤ . تعامل رودري باريت مع السنة النبوية وقد وضع نصب عينيه أن يوظف ما فيها للطعن بالنبوة وتكذيب الوحي ، فكان منهجه في هذا : تجاهل النصوص التي توافق غرضه مع أنها قد وردت في مصادره التي اعتمدها في كتابه ( محمد والقرآن ) ، والاعتماد على الروايات الموضوعية ، وليّ النصوص وتحريفها أو تأويلها تأويلاً مغلوطاً ، وينتقي ما يشاء مما يوافق أغراضه .

( ١ ) محمد والقرآن : ٢٧٦ .







١٢. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن، ط٢، ١٤١١ هـ.
١٣. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م.
١٤. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، (ت ٢١٣ هـ)، تقديم وتعليق : طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ .
١٥. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .
١٦. صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .
١٧. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م .
١٨. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨ م .
١٩. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، محمد البهي (ت ١٤٠٢ هـ)، مطبعة الأزهر، مصر، بلا تاريخ .
٢٠. محمد والقرآن، رودى باريت، ترجمة : الدكتور رضوان السيد، مؤسسة شرق غرب للنشر، ط١، الإمارات، ٢٠٠٩ م .
٢١. المستدرک على الصحيحين، لأبي عبدالله الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ . ١٩٩٠ م .



٢٢. المستشرقون والناطقون بالإنجليزية، دراسة نقدية، د. عبداللطيف الطيباوي، ترجمة : د. قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٩٩١م.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، (ت ٧٧٠هـ)، أشرف عليها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .
٢٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م .
٢٥. المعجم الوسيط، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط ٣، ١٩٨٩م .
٢٦. معجمتنا للغة، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م .
٢٧. مناهاج المستشرقين، د. سعدون الساموك . جامعة بغداد، ١٩٨٥م .
٢٨. مناهاج المستشرقين الألمان غير ترجمتنا القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة ، محمود محمد حجج رشدي ، بحث نشر ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإسلامية، السعودية ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .
٢٩. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن البدوي ، دار العلم للملايين، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٩٣م .
٣٠. الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، (ت ١٧٩هـ)، تحقيق : محمد مصطفى، طفا للأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي/الإمارات، ط ١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
٣١. نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، لخضر شايب . مكتبة العبيكان ، السعودية ، ٢٠٠٢م .
٣٢. نصاب المجانيق لنسفة قصة الغرائيق، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - بيروت، ط/٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

